

إذا زال أعظمهما كان نعمة ، ومن استعمل نعمة الله في المعاصي كانت شرآ في حقه ، لأنها جرتة الى العذاب الذى هو أعظم من تلك اللذة ، كمن آكل عسلا فيه سم ، فان ضرر السم أعظم من حلاوة العسل . والله أعلم انتهى كلامه *

﴿ الباب الثالث والمشرون ﴾

(فى الصدقة عن المصاب به وأفمال البرعنه)

وهذا الباب مما يطيب قلوب أهل المصائب على مصابهم ، فانهم اذا بدلوا بدل الحزن والبكاء ولطم الحدود وشق الثياب والنياحة ، الصدقة والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن والصلاة والصيام ، ونحو ذلك من أفعال القرب ، وعلموا وصولها الى موتاهم ، وانه يحصل لهم بذلك - : إما تكفير سيئات ، أو رفع درجات ، أو كلاهما حصل لهم المرور بذلك والفرح الزائد ، وهذا الباب منعقد على اهداء القرب الى الموتى والاحياء فنذكر اختلاف العلماء فى وصول ثواب ذلك اليهم ، فمن أنواع القرب لم يختلف العلماء فى وصول ثوابها الى الموتى ؛ وثم قرب يختلف العلماء فى وصول ثوابها اختلافا كثيرا ، فنذكر ما يسره الله تعالى فى ذلك ، فان ذكر الاختلاف والبسط سبيل ذلك الكتب المطولة *

﴿ فصل ﴾

(فى ذكر اختلاف الناس فى وصول ثواب اهداء القرب الى الموتى)

أما الدعاء والاستغفار والصدقة وقضاء الدين وآداء الواجبات ، فلا أعلم خلافا فى وصولها ، حكاهما غير واحد من العلماء ، ومن العلماء من يشترط فى الوصول اذا كانت الواجبات مما يدخله النيابة . قال الله تعالى : (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا) الآية . وقال تعالى : (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) ودعا النبي

صلى الله عليه وآله وسلم لابي سلمة حين مات أبو سامة ، ودعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم للميت الذي صلى عليه ،
 وشرع الله ذلك له ، وشرعه لكل من صلى على ميت بقوله : « اللهم اغفر لحينا
 وميتنا ، وكذلك اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه » الدعاء المشهور المعروف .
 وأما وصول العبادات المالية المحضة ، كالعتق والصدقة ونحوها فجمهور العلماء من
 أهل السنة والجماعة على وصول ثوابها الى الموتي كما يصل اليهم الدعاء والاستغفار ، وأما
 وصول ثواب الاعمال البدنية كالصوم والصلاة والقراءة ونحو ذلك فالصحيح الوصول
 وهو مذهب الامام احمد وأبي حنيفة وطائفة من أصحاب مالك والشافعي لما يأتي
 من الاحاديث بعد إن شاء الله *

﴿ فصل ﴾

(في الآيات والاحاديث الواردة في هذا الباب)

قد تقدم قوله تعالى : (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
 الذين سبقونا بالآيمان) الآية . وقال تعالى : (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)
 وقال تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به
 ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فانغفر للذين تابوا واتبعوا
 سبيلك وقهم عذاب الجحيم) فلو لم ينفعهم ذلك لم يخبر الله تعالى به ترغيباً ، وأما
 الأحاديث فمنها ، ما روى الامام احمد من حديث الحسن بن سعد بن عبادة أن
 أمه ماتت ، فقال : يا رسول الله إن أمي ماتت أفأتصدق عنها ؟ قال : نعم . قال :
 قلت فاي الصدقة أفضل ؟ قال : سقى الماء . قال الحسن : فتلكت سقاية آل سعد
 بالمدينة . ورواه النسائي أيضاً ، ومنها عن معقل بن يسار . قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 : « اقرأوا على موتاكم » رواه أبو داود وابن ماجه ورواه الامام احمد ولفظه :
 يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تبارك وتعالى والدار الآخرة الاغفر له ،
 وقرؤها على موتاكم . وفيه دليل على وصول القراءة الى الميت فانه صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا أن

نقرأها على موتانا ، وأمره في هذا المكان أمر إرشاده لا يجوز أن يعرى عن فائدة ، ولا فائدة للعبد بعد موته أعظم من الثواب ، فانا نعلم يقينا أن الميت من أحوج الناس الى ما يقربه من رحمة الله ، ويباعده من عذاب الله ، وقد امتنع عليه ذلك بعد موته بفعل نفسه فما بقي يحصل له ذلك الا بفعل غيره ، والحصول هو الثواب المترتب على القراءة والله أعلم . فان قيل قد فسر جماعة من العلماء أن المراد بقراءة يس عند الاحتضار للمسلم الذي سيموت - وقد ذهب الى هذا جماعة من العلماء حتى الشيخ محمد الدين بن تيمية الحراني بوب عليه في كتابه المنتقى - قيل : هذا خلاف الحقيقة ، فانه اذا حمل على من سيموت يكون حمل اللفظ على مجازه ، ومعلوم ان حمل اللفظ على حقيقته أولى من حمله على مجازه ، فان سلم انه أريد به المختصر فهو حجة على المخالف المانع من وصول ثواب القراءة الى الميت ، فان قول المخالف في أن الحى لا يفتنع بعمل الغير ، أشد من قوله في الميت ، فان قيل انما يحصل له به راحة وسرور كالتناذير به في الدنيا قلنا : هذه دعوى تفتقر الى دليل ، والأصل عدسه ، بل نقول أى راحة وسرور أعظم من ثواب يحصل للميت يرفع درجاته أو يحط عنه سيئاته ؟ وقد أفردت لهذا الكلام جزءاً وصحيفة (الدر المنتخب في إهداء القرب) فمن رام كشف ذلك فليطلبه من محله ، وما نذكره هنا على سبيل التنبيه (ومنها) ما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان العاص بن وائل نذر أن ينحرف في الجاهلية مائة بدنة ، وأن هشام بن العاص نحر حصته خمسين ، وأن عمراً سأل النبي ﷺ عن ذلك . فقال : « أما أبوك فلو أقر بالتوحيد فصمت عنه ونصدقت عنه نفعه ذلك » رواه الامام أحمد . وهو دليل على وصول أفعال الخير الى الميت * (ومنها) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ إن أبى مات ولم يوص أفينفعه أن أتصدق عنه ؟ قال : نعم . رواه مسلم والامام أحمد والنسائي وابن ماجه (ومنها) عن عائشة رضى الله عنها أن رجلاً . قال للنبي

ﷺ : « إن أمي أفتلنت نفسها ، وأراها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال : نعم » رواه البخارى ومسلم والامام أحمد * وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ . قال : « ما على أحدكم إذا أراد أن يتصدق بصدقة تطوعا أن يجعلها عن والديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرهما وله مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيئا » رواه حرب في مسائله بسنده * وروى ابن المنذر بأسناده عن عائشة رضى الله عنها أنها أعتقت عن أخيها عبد الرحمن عبداً بعد موته * وروى الدارقطنى وغيره عن عطاء بن أبي رباح مرسل أن رجلا . قال يارسول الله : إن أبى مات أفأعتق عنه ؟ قال : نعم . وروى الدارقطنى أيضا عن الحسن والحسين رضى الله عنهما أنهما كانا يهتقان عن أبيهما على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد موته . عن ابن أسيد مالك بن ربيعة الساعدى قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بنى سامة . فقال : يارسول الله هل بقى من بر أبوى شئ أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : « نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وافتقاد عهدهما بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما وإكرام صديقيهما » رواه أبو داود وهذا لفظه وابن ماجه *

﴿ فصل ﴾

ومن الأدلة المستحسنة . قوله ﷺ فى الأضحية لما ضحى بكبشين ، فلما ذبح أحدهما . قال : « بسم الله والله أكبر اللهم هذا عن محمد وآل محمد » ولما ذبح الثانى . قال : « اللهم هذا عنى وعن لم يضح من أمتى » وفى رواية ابن ماجه ، أن رسول الله ﷺ لما ضحى بكبشين عظيمين ميمينين أقرنين أملحين موسومين فذبح أحدهما عن محمد وآل محمد ، وذبح الآخر عن أمته وعن شهد له بالبلاغ ، ففيه دليل على أن النفع قد نال الأحياء والأموات من أمته بأضحيته ﷺ والا لم يكن فى ذلك فائدة ، فانه ﷺ ما ينطق عن الهوى . وقال للذى قضى الدين

عن الميت : الآن بردت عليه جلده . وحديث ابن عباس أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول - وفي لفظ لا يستنزه من البول - وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرس على كل قبر واحد . وقال : انه لينخف عنهما ما لم يببسا » قال الخطابي : هذا عند أهل العلم محمول على أن الأشياء ما دامت على أصل خلقتها أو خضرتها وطرأتها فلتها تسبح الله عز وجل حتى تجف رطوبتها ، أو نحول خضرتها ، أو تقطع من أصلها ، فإذا خفف عن الميت بوضعه ﷺ الجريدة على قبره ، لكونها تسبح الله ، فبطريق الأولى والأخرى أن تخفف القرب على اختلاف أسبابها ، وإن أعظم القرب كلام رب العالمين ، الذي نزل به الروح الأمين ، على قلب أشرف المرسلين ، وقد أوصى بريدة رضي الله عنه أن يجعل جريدة على قبره . ذكره البخاري . وقد استحب ذلك جماعة من العلماء من أصحابنا وغيرهم وأنكره آخرون * وقال الشيخ محي الدين النواوي في شرح مسلم : ذكر أن العلماء استحبوا القراءة لخبر الجريدة لأنه إذا رجي التخفيف لتسييحها فالقراءة أولى . انتهى كلامه *

﴿ فصل ﴾

(في قوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)

وأما احتجاج بعض من خالف من أصحاب الشافعي ومالك بهذه الآية على أن الميت لا ينتفع بشواب من سعى غيره لأن النبي ﷺ . قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به من بعده ، أو ولد صالح يدعو له » قالوا : ولأن نفع العبادة لا يتعدى فاعلها ، فيقال لهم : قد ثبت بالسنة المتواترة وإجماع الأمة ، أن الميت يصلى عليه ويدعى له ويستغفر له ، وهذا من سعى غيره ، وكذلك ما وافقوا عليه وساموه من أنه ينتفع بالصدقة والعتق وهو من

سعى غيره ، فما كان جوابهم عن مورد الاجماع ، فهو جواب الباقيين عن محل النزاع ، وللناس في ذلك أجوبة متعددة سبيلها السكتب المطولة ، ولكن تحقيق ذلك أن يقال إن الله تعالى لم يقل إن الانسان لا يفتنع الا بسعى نفسه ، وإنما قال : (وأن ليس للانسان الا ما سعى) وهو لا يملك الا سعيه ، ولا يستحق غير ذلك ، وإنما سعى غيره فهو له ، كما إن الانسان لا يملك الا مال نفسه ، ويملك نفع نفسه بما لا غيره ، وقد روى عن ابن عباس أن الآية منسوخة بقوله تعالى : (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الحقنا بهم ذرياتهم) فادخل الأبناء الجنة بصالح الآباء ، ولا يصح هذا : لان لفظ الآيتين لفظ خبر والأخبار لا تنسخ . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : اللفظ المنقول عن ابن عباس هو من تفسير علي بن طلحة الوالي عنه ، وقد قيل إنه لم يسمعه من ابن عباس ، وقال عكرمة هي خاصة بقوم ابراهيم وموسى دون هذه الأمة ، وشرع من قبلنا ليس بشرع لنا ، وأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وسعى لهم . قال الشيخ : وهذا ضعيف ، لان الله إنما ذكر هذا ليخبر به هذه الأمة ، وليعلموا أن هذا حكم شامل ، ولو كان هذا مخصوصا بامة موسى و ابراهيم لم يرقم به حجة ، على أن من أرسل اليه النبي ﷺ وجميع المسلمين بما في هذا لقوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وأيضاً فمن أين لهم أن تلك الأمة لم تكن تنفعهم الصدقة عنهم بعد الموت والدعاء لهم ؟ وقد بين النبي ﷺ أنا إذا قلنا : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أصابت كل عبد لله في السماء والارض ، ونحن إذا ذكرنا الصالحين من الامم وترحمنا عليهم وصل ذلك اليهم ، وليس هو من سعيهم ، و ابراهيم قد دعا لاولاده بنص القرآن وليس ذلك من سعيهم . وقال الربيع بن أنس : المراد بالانسان الكافر ، وهذا ليس بشيء ، لان سياق الآية يناقضه بقوله : (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) وهذا يتناول المؤمن قطعا ، فلو عكس كان أولى ، مع إن حكم العدل لا فرق فيه بين مؤمن وكافر . قال الحسن بن الفضل : ليس للانسان

الاماسعى من طريق العدل ، فلما من طريق الفضل فجاز أن يزيد الله ماشاء .
قال شيخ الاسلام بن تيمية : وهذا القول أمثل من غيره ، ومعناه صحيح ،
لكنه لم يفسر لفظ الآية ، فان قوله ليس للانسان نبي عام فليس له الا ذلك ، وهذا
هو العدل ، ثم إن الله قد ينفعه وبرحه بغير سعيه من جهة فضله وإحسانه ، وإن كان
ذلك ليس له ، ثم قال الشيخ : وقال ابن الزاغوني : إنه ليس له الاسعيه ، غير أن
الاسباب مختلفة ، فتارة يكون سعيه في تحصيل الشيء نفسه ، وتارة يكون في
تحصيل سببه ، مثل سعيه في تحصيل قرابة أو نسكاح ليحصل له ولد صالح يدعو
له ، أو صديق صالح ، وتارة يسعى في خدمة أهل الدين والعبادة ، فيكتسب محبتهم
بسبب سعيه في ذلك ، قال الشيخ رحمه الله : وهذا أمثل من غيره وقد استحسنه
ورحجه أبو البركات وهو ضعيف ، فانه قد ينتفع بعمل غيره من لم يحصل سبباً ،
وبسط القول على هذا وعلاه بامور ، وذكر عن ابن الزاغوني قولاً آخر قال : وأن
ليس للانسان بمعنى وأن ليس عليه الاماسعى . قال الشيخ : وهذا من اربط
الاقوال ، فانه قلب لمعنى الآية ، فانه ليس للانسان الاماسعى ، وتامها وأن سعيه
سوف يرى ثم بجزء الجزء الأوفى ، أفترى السعي الصالح لم يدخل في هذه ؟ وبسط
القول على هذا وبين فساده ، وقد ذكرنا هذه الاقوال ورتبناها مبسوطه في
(إهداء القرب)

﴿ فصل ﴾

ومما يستأنس به في وصول الثواب إنه يستحب الدفن عند الصالحين ليناله
بركتهم ، ونص الامام أحمد على أن الميت يتأذى بالمنكر عنده . وقد روى عن
ابن عباس رضي الله عنهما . انه قال : جنبوا الميت جار السوء . وقالت عائشة رضي
الله عنها : الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته . سكن هذان الأثران وإن كان
فيهما ضعف ففيهما دلالة على المسئلة ، فان الميت اذا تأذى بالمنكر انتفع بالخير

بطريق الاولى * وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ . قال : « إن الميت
ليعذب بمكاء أهله عليه » فالله تعالى أحكم وأعدل من أن يوصل عقوبة المعصية
إليه ، ويحجب عنه المثوبة والله تعالى أعلم *

﴿ فصل ﴾

تستحب القراءة عند القبر، لأنه قد صحح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أوصى
إذا دفن أن يقرأ عنده بفاتحة البقرة وخاتمتها. والمشهور عن الامام أحمد أن القراءة
في المقبرة وعند القبر لا تكره ، اختاره أبو بكر عبد العزيز والقاضي وجماعة من
من أصحابنا ، ذكره بعض أصحابنا ، وعليه عمل الناس في زماننا هذا . قال في
المستوعب : ولا تكره القراءة على القبر . وكان أحمد رحمه الله يكرهها ، ثم رجع
رجوعاً أبان به عن نفسه . وقال : يقرأ بعد أن نهى عن ذلك . ومن أصحابنا من
يتمسك بكرهته أولاً ويجعل المسألة على روايتين . ثم قال بعد ذلك : فإن أهدي
إليه الثواب نفعه . انتهى كلامه . وهذا مذهب الحنفية ، لكن اختلف أصحابهم هل
تستحب القراءة أم تباح ؟ وجهان لهم . وروى عن الامام أحمد أن القراءة
لا تكره حال الدفن دون غيره . وروى عنه الكراهة مطلقاً ، اختارها الامام
عبد الوهاب الوراق وأبو حفص العكبري . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : الكراهة
نقلها الجماعة عن الامام أحمد وهي قول جمهور السلف ، وعليها قدماء أصحابه كالروزي
وغیره . وقال ابن عقيل وابن المنجي : تعليلاً لرواية الكراهة ، بأنها مدفن النجاسة
كالخس ونحوه انتهى كلامهما . وذكر بعض أصحابنا عن الخليل أنه قال : المذهب
رواية واحدة ، إن القراءة عند القبر لا تكره . انتهى . لكن القراءة على القبر ليست
من فعل النبي ﷺ ولا أصحابه والله أعلم *

﴿ فصل ﴾

(نص الامام احمد على أنه يستحب الدعاء للميت عقب دفنه)
 ثم قال أحمد: قد فعله على بن أبي طالب ، والاحنف بن قيس ، ويروى عن
 عثمان بن عفان أنه . قال : كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف
 عليه . وقال : « استغفروا لآخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل » رواه أبو داود
 وروى الطبراني من حديث ابن مسعود رضى الله عنه . قال : كان رسول الله ﷺ
 يقف على القبر بعد ما يسوى عليه التراب فيقول : « اللهم نزل بك صاحبنا وخاف
 الدنيا خلف ظهره اللهم ثبت عند المسائلة منطلقه ولا تبتله في قبره بما لا طاقة له به »
 ويروى أن علياً رضى الله عنه كان يقول : - إذا سوى على الميت التراب عند
 شفير القبر بعد ما يدفن - اللهم عبدك وولد عبدك نزل بك وأنت خير منزل به
 اللهم أوسع له مدخله ، وأخف له ذنبه فانا لانعلم الاخيراً وأنت أعلم به . رواه حرب
 الكرماني في مسأله . وكان أنس رضى الله عنه إذا سوى على الميت قبره قام عليه
 فقال : اللهم عبدك ونزل بك فأرأف به وارحمه ، اللهم جاف الارض عن جنبه ،
 وافتح أبواب السماء لروحه ، وتقبل منه بقبول حسن ، اللهم إن كان محسناً فضاعف
 له الحسنات أو قال : - فزد له في إحسانه - وإن كان مسيئاً فمتجاوز عنه . رواه الامام
 أحمد والطبراني وغيرهما . وذهب الشافعي أيضا الى إستحباب الدعاء عقب الدفن
 وقال أكثر المفسرين : في قوله عز وجل في حق المنافقين (ولا تقم على قبره) معناه
 بالدعاء والاستغفار بعد الفراغ من دفنه . وكذلك ذكر جماعة من المفسرين : لما هم
 النبي ﷺ بالاستغفار لعمه أبي طالب لما مات ، وهم بعض الصحابة بالاستغفار
 لابويه ، أنزل الله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو
 كانوا أولى قربي) الآية . فلولا إن ذلك نافع للمؤمنين كما تقدم ، لم يكن لذلك
 معنى ، بل لما نهى عنه للمشركين دل على وقوعه للمؤمنين ونفعه لهم . وقال محمد بن

حبيب التمار : كنت مع احمد بن حنبل في جنازة ، فاخذ بيدي وقمنا ناحية ، فلما فرغ الناس من دفنه جئنا الى القبر ، فجلس ووضع يده على القبر وقال : اللهم إنك قلت في كتابك (فأما إن كان من المقربين) فقرأ الى آخر السورة ، اللهم وإنا نشهد أن هذا فلان بن فلان ما كذب بك ولقد كان يؤمن بك وبرسولك ، اللهم فاقبل شهادتنا له ، ودعاه له ثم انصرف *

﴿ فصل ﴾

هل يصح اهداء ثواب نوافل العبادات للمسلم الحى ؟

وهذه مسألة لا تكاد تظفر بها في كتاب مشهور افرابتها ، فذكر ابن تيميم في كتابه ، فذكر وصول الثواب الى الميت . قال : وفي الحى وجهان ، وذكري بعض فضلاء الحنفية أن وصول القرب الى الحى مذهبهم ، والدليل على الوصول قوله تعالى : (فاعف عنهم واستغفر لهم) وأيضا فان الرسول ﷺ والمسلمون مازال يدعون بعضهم لبعض عموماً وخصوصاً لأحيائهم وأمواتهم من غير تكبير ، ولانه مشروع في دعاء الميت الى يوم القيامة في قوله : « اللهم أغفر لحينا وميتنا » . قال القاضى أبو يعلى : وليس يعرف عن الامام أحمد رواية في الفرق بين الحى والميت ، بل ظاهر قوله يعمهما . وقد دل عليه الكتاب والسنة في الدعاء والاستغفار للتساوى فلا فرق . وقال الشيخ شمس الدين بن عبد القوى في مجمع البحرين : هذا ليس له تكبير فهو إجماع ولا شبهة لمن قال بعدم الجواز . انتهى كلامه . وقال ابن عقيل في المفردات : إن القراءة ونحوه لا تصل الى الحى فانه بفتح مفسدة عظيمة ، فان الاغناء يتكلمون عن الأعمال ببندل الأموال التى تسهل لمن ينوب عنهم أسباب الثواب بالاتكال على الثواب ، وتخرج أعمال الطلبة المعاوزات . انتهى كلامه . فلو قال قائل : نحن نلتزم ذلك والسنة ، ونقول : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .